منظومة

جواهر الأخبار في سيرة الأئمة الأخيار

المعروفة بـ: البسامة

نظم

السيد صارم الدين

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير

ت ٩١٤ هـ

– السيّد ابراهيم صارم الدين بن محمّد بن عبد الله بن الهادي بن المفضّل بن محمّد العفيف بن المفضّل بن الحجّاج بن علي بن أبي القاسم بن يحيى بن أبي القاسم بن يوسف الداعي لأمر الله بن أبي عبد الله يحيى المنصور بالله بن أبي الحسين أحمد الناصر لدين الله المذكور.

كان عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً فصيحاً بليغاً ظريفاً أديباً شاعراً، فمن شعره القصيدة المشهورة بالبسّاميّة، وهذا مطلعها:

الدهر ذو عبر عظمىٰ وذو غير وصرفه شامل للبدو والحضر
وخطبه معظل للناس عن كمل وحكمه في الورى أمضى من القدر
وجدّه عند أرباب النهىٰ لعب وغاية الطول منه غاية القصر

ومــرهفات مــواضــيه مــناجزة   وسمــره شأنهــا التــفريق للسمر
وخـــيله مـضمرات في أعــنّتها   شعث النواصي سراع الورد والصدر
وبأســـه مـــا له ردّ لشـــدّته   وكأســه دائــر بــالحلو والصــبر
أخنى على الفرس واليونان قبلهم   والروم والترك والسودان والخزر
وثلّ عرش بني هود فليس لهم   على البسيطة من عين ولا أثر
كتبّع وبنيه وابن ذي يزن   وذي رعين وذي نوس وذي شهر
ملوك صدق لها التيجان قد عقدت   وكلّلت بنفيس التبر والدرر
شادوا ظفاراً خمداناً وما برحت   لهم ببينون آثار وفي هكر
وناعظ ثمّ صرواح ومأربهم   وقصر غمدان والبنيان من خمر
وفي ذرى بلقم بئر معطّلة   لهم وقصر مشيد الصرح والحجر
فأصبحوا لا يرى الاّ مساكنهم   صرعى من الموت لا صرعى من السكر
كأنّ ما سكنوا الدنيا ولا لبسوا   فيها نفيساً من الياقوت والدرر
وغيرهم من ملوك الأرض كم ملكت   فتىً وأغنى بماضي السيف والبدر
فكيف يغترّ بالدنيا وبهجتها   زاكي الحجاب ثاقب الرأي والنظر
دار العناء بلا ريب ولا كذب   وربّة الخدع بالتسويف والغرر
ضلالها قالص ماض بلا مهل   ولبثها لبث ضيف زار في سحر
وبرقها خلّب لا يرتجى طمع   به ولا سحبه تنهلّ بالمطر
كم أضحكت ثمّ أبكت ثمّ كم وهبت   واسترجعت من عظيم القدر والخطر
وكم أذلّت عزيزاً كان ممتنعاً   وزال ذو أعظم منها بمحتقر
وقوّمت بمواضي النهد من عجب   وعدّلت برماح الخطّ من صغر
فليس شمل عليها غير مفترق   وليس صاف بها ما شيب من كدر
ان شئت تسمع من أبياتها عجباً   فسوف آتيك عن بسط بمختصر

وسوف أنظم للسادات منتشراً ... وسوف أوضحه شرحاً بمنتشر
وسوف أذكر ممّا قد جرى نكتاً ... وأُودع السمع منها أطيب الخبر
في سلك بسّامة في الآل قد نظمت ... غرّاً تبسّم عن ملفوفة الدهر
ممّا أصاب بني الزهراء وشيعتهم ... وكلّ دهر لهم بالناب والظفر
فليس حيّ من الأحياء يعلمه ... من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
الاّ وهم شركاء في دمائهم ... كما يشارك أبسار على جزر
قتلاً وأسراً وتشريداً ومنهبة ... فعل الغزاة بأهل الروم والخزر
فقل لمن دام للأسباب معرفة ... فربّما تعرف الأسباب بالنظر
حبّ الرئاسة أطغى الناس فافترقوا ... حرصاً عليها وهم منها على صدر
فالحقّ أبلج والبرهان متّضح ... وبيتنا محكم التنزيل والأثر
مات النبيّ أجلّ الخلق مرتبة ... محمّد خاتم الأنباء والنذر
نبيّنا المصطفى الهادي الذي ظهرت ... آياته كظهور الشمس والقمر
صلّى عليه اله العرش ما سجعت ... ورق الحمام على غصن من الشجر
فكان ذلك خطباً من حوادثها ... مستهللاً كلّ خطب بعده عسر
فكان أوّل أمر بين أُمّته ... .(١)
على الامام الهادي أبي حسن ... نفس الرسول كما قد جاء في السور
هذا ونال من الدنيا أبوحسن ... ما ليس يقنع منها فيه بالغدر
اذا غمدت سيف أشقاها بهامته ... وحلّلت حساماً قاطع الأثر
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن ... أتت بمعظلة الألباب والفكر
سقته سمّ ابن حرب حين سالمه ... وأمكنت من حسين راحتي شمر

---

(١) بياض في الأصل ، ويناسب المقام أن يقال : غصب الخلافة من الأعداء والفجر

نفسي فداء قتيل الطفّ ما صنعت ... فيه البغاة وما لاقاه من ضرر
وبالامام المثنّى بعده فتكت ... فتكاً أقرّ ابن مروان على السور
وأسبلت دمعة الروح الأمين على ... دم بفخّ لآل المصطفى هدر
وأسبلت عبرات للعيون على ... .
.... وبعضها سامت لم مات من حضر
وأشرقت جعفراً والفضل ينظره ... والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
وفي هشام وفي زيد أتت جللاً ... ومن كزيد وزيد خيرة الخير
دعا هشاماً الى التقوى ونابذه ... لسبّ آل رسول الله والنذر
وصغّر الأحول الطاغي وحقّره ... ولم يكن في مقام الخمّ بالحصر
وبثّ دعوته في كلّ ناحية ... وكان مخرجه لله في صفر
فقابلته جنود الشام وانحرفت ... عنه العراق الى أعدائه الفجر
وخاض في غمرة الهيجاء فأثبته ... سهم من القوم أهل البغي والأشر
وكان ما كان من قتل الامام ومن ... صلب له فوق جذع غير مستتر
لم يشفهم قتله حتّى تعاوره ... قتل وصلب مع التحريق بالشرر
وقام يحيى بن زيد بعد والده ... وهزّ عاسل عزم غير منكسر
فسلّمته الى سلم بن أجورها ... بالجوزجان بلا ضعف ولا خور
صلّى الاله على زيد وعترته ... يحيى وصلّى على أشياعه الغرر
السالكين الى الأُخرى مسالكها ... والمقبلين على أعمالها الأُخر
ففي النهار جهاد طال عثيره ... والليل ترجيع آي الذكر في السحر
وأُشهد الله أنّ الحقّ دينهم ... وأنّهم صفوة الباري من البشر
وفي محمّدها المهدي ما حفظت ... حقّاً لما كتبت كفّاه في السير
زاكي الأُصول وزاكي الفرع من حسن ... وخير مؤتزر بالمجد مفتخر

مـــالت عـليه الى فـرعون مـعشره ... أبي الدوانيق طاغي عـصره الغـدر
وقـــادت الحـــبر عـــبد الله كـاملنا ... أبـــا الأئمّـــة بـعد الشـيب والكـبر
مـــغلغلاً في حـــديد تحـــته قـــتب ... وغــــيّبت غـرّة الديـباج في الجـدر
والفاطميّات تـبكي بـعدهم جـزعاً ... وعـــين صـــادقنا تجـــري بمــنهمر
وأوقـــعت يـــوم بـــاخمرا بسـيّدها ... واستخرجت ليث غاب كان في الخمر
وبـــعده بـــعلي مـــن عـــلا شرفـاً ... وليس للمرء دون المـوت مـن وزر
وأســـبلت عـبرات المـؤمنين عـلى ... دم بــــفخ لآل المــــصطفى هـــدر
وأسبلت دمعة الروح الأمـين عـلى ... دم بــــفخ لآل المــــصطفى هـــدر
وفي الغــــويّ ويحـــيى البرّ قـــائمنا ... أتت بمـــــلحمة مســـطورة الخـــبر
وخـــادع الفـضل شروتـنا فسـلّمه ... بـــعد الأمـــان اليـــه غـير مـعتذر
وكان ما كان مـن نـقض الأمـان له ... والغـــــدر ليس لهـــارون بمــنتكر
وسلّ ادريس غرب العـزم مـنتصباً ... بالغرب وهو مـن الأشـياع في نـفر
فـــعاجلته بـسهم الحـتف وادّرعت ... عـــــلى سراة بـــنيه فـــروة النمـــر
وفـــجّعت بـــعد عـبد الله بـالحسن ... المـــبارك المـاجد المأسـور بـالغرر
وأنـــزلت بـــابن ابـــراهـيم داهـية ... محـــمّد طـــاعن اللـــبّات والثـــغر
قـاد ابـن سهـل اليـه حـجفلاً لجـباً ... والعير يقدم نحـو اللـيث مـن ذعـر
أقـــــام فـــارس شـــيباً بـــدعوته ... أبـــو السرايـــا ولم يـبخل بمـنع سر
ومسّ مـــنها بـلا جـرم ولا سـبب ... محـــمّد بـــن عـــظيم المجـد والغـرر
وتـرجمـان الهـدى والديـن قـاسمنا ... أجـــلّ مـــعتصم بـــالحقّ مشـــتهر
خــــليفة بـــركات فـــيه ظـــاهرة ... كأنّهـــا بـــركات اليـاس والخـضر
لمّـا دعـا الى التـقوى ومـا نـظرت ... منه العـيون الى عـبش لهـا حـضر
أشــلت عــليه كـلاباً لا مـراقـبة ... الاّ فـــهاجرها واعـــتاض بـالهجر

والطـالقاني ويحـيى وابـن يـوسف		والزيدي جارت عليهم ليت لم تجـر
ولابن زيـد حـديث شأنـه عـجب		مع الجهّال جـنود خـراسـان لمـعتبر
وفي أيّام الهدى الهـادي المـتوّج بـا		لعـياء أكـرم داع مـن بـني مـضر
من خصّ بالجفر من أبـناء حـيدرة		وذي الفقار ومن أروى ظمى الفـقر
وصاحب اليمـن المـذكور في اليمـن الـ		مـشهور مـن غـير افك ولا نكـر
سارت بمـذهبه الركـبان واسـتلمت		بقبره النـاس مـثل الحـجر والحـجر
وفي ابـن فـضل ومـن لبّىٰ بـدعوته		وفي مسـوّدة يـدعو الى سـقر
قـضت بـتسع الى تسعين مـعركة		غـرّ كـبدر وأوطـاش وكـالنهر
قـضىٰ بهـا نخبه صـيد غـطارفة		مضوا وأشياع صدع من بني الطـبر
سائل شـئاماً وصـنعا وصـعدة مـع		نجران عنه وسفح القـاع مـن عـصر
وسـل بـني يـعفر عـنه وكـندتهم		وغلب همدان والأحلاف من مضر
تخبرك عـن ضربـات مـنه قـاطعة		قدّت دروعاً وأردت كلّ ذي صـفر
وصـاحب الجـبل مـنّ الله محـتسباً		شـدّ الازار وبـاع النـوم بـالسهر
النـاصر الطـاهر المـيمون ظـاهرة		مطهّر الجـيل مـن شرك ومـن قـذر
دعا عقيب ابن زيد دعوة صـدعت		أنـوارهـا فسناها غـير مسـتتر
وكـان اسـلام جسّـان عـلى يـده		في ألف ألف مـن العـبّاد للشـجر
صـالت ضـفادع أمـواه بـدعوته		على الأفاعي فـذادتها عـن النهـر
ومـا رضت مـرتضانا حـين طـلّقها		لعلم مكنون مـا في الجـفر مـن أثـر
وسـلّم الأمـر مخـتاراً وقـلّده		أخـاه أحمـد مـغني كـلّ مـفتقر
عن رأي سادات أهل البيت عن كمل		وكـلّ قـيل مـن الأزواء مـعتبر
فـدوّخ اليمـن الأقـصى الى عـدن		مـع الجـبال كـبعدان وكـالشعر
وكـان يـوم نـقّاش مـنه مـلحمة		عـلى القـرامط لم تـبق ولا تـذر

وعـدّ سـبعة آلاف مـضوا عـجلاً ... حـصائد بـين مـرميّ ومجـتزر
وبـالمصانع أُخـرى منه تشبهها ... حلّت عرى الشرك من كونيّ ومن قدر
ولابنه الماجد المنصور ما سمحت ... بـقود ذي لجب كـالبحر مـعتكر
واستعبرت من بني الضحّاك اذ قتلوا ... ظـلماً بأفـضل مختار مـن الخـير
فـعاجلتهم رزايـاها بمـنتصر ... بـغدرهم ثـابت الأقـدام في الغـدر
ويوسف العترة الداعي الذي شرفت ... منه المناسب زاكـي الأصـل والثمـر
والقاسم القائم المنصور مـن شرفت ... به عـيان عـلى مـا شـيد مـن مـدر
جـرت بأعـجب أمـر كـان بـينهما ... كأمـر يـوسف والأسـباط فـاعتبر
ونـازلاً كـلّ طـاغ في زمـانهما ... وصاولا كـلّ ذي جـور وذي بـطر
وسائل السور من صنعا ما صنعت ... بـه الجـنود وقـاضي الجـبر والقـدر
والسيّد العالم الداعـي الذي ضربت ... بـعدله سـائر الأمـثال في السـير
والسـيّدان اماما الجـيل مـن لهـما ... في آل أحمـد فـضل غـير مـنحصر
لم يبلغوا مـن ظـهور العـدل مـارية ... مع مدّ باع طـويل غـير ذي قـصر
ولا دعـاه دعـوا بـالجبل بـعدهم ... مثل النجوم هدىً للـخلق في السـفر
مـن كـلّ أبـلج بـالعليا تـتوّج بـا ... لرايات أدلج ماضي الجيش في البكر
له قـضاة وأشـياع تـناصره ... كـزيد الحـبر والقـاضي أبي مـضر
وأنـزلت سـاحة المـهدي قـارعة ... بـذي عـرار ونـقع الخـيل لم يـثر
وقـال قـوم هـو المـهدي مـنتظر ... قـلنا كـذبتم حسـين غـير مـنتظر
كـيف انـتظاركم نـفساً مـطهّرة ... سالت على السمر والصمصامة الذكر
دع الخـيالات أوهـام مسـلّطة ... على العقول التي ضلّت عـن الفكـر
وكـان مـنها عـلى الزيـدي مـلحمة ... بحـقل صـنعاء تجـري مـدمع النـظر
وفي الهـرايـة أيّـام لفـاضلنا ... وصـنوه للـمعالي خـير مـنتصر

حطّ الصليحي حوليها بعسكره سبعين يوماً وما فيها سوى قطر
وفي شهارة أيّام تعقّبها قتل القرامطة الأشراف في أقر
ردّ المكرّم مكسور الجناح وقد وافى بجيش كعدّ الطيش منتشر
وحاصراه بصنعاء محاصرة يعضّ منها بنان النادم الحصر
وحمزة روّت المنوى له بدم وفرّقت منه بين الرأس والفقر
بين الرواحي وبالاصلوح مصرعد وقد ثارنا به منهم على الأثر
بعامر وبمنصور وأُسرته فما التقىٰ رابح منهم بمبتكر
والناصر الديلمي المنتقى سفكت له دماً يوم نجد الجاح ذي الحفر
ثمّ المحسّن ذو الاحسان قد فتكت به أيادي ذوي البغضاء والأشر
وفي ابن زيد لأهل الفضل معتبر لمّا تسنّم رأس الطود من شعر
وأحمد بن سليمان فما رضيت بعلابه وهو مرضيّ لدى البشر
دعا وكان اماماً سيّداً علماً برّاً تقيّاً ومن كلّ العيوب بري
وصبّحت خيله صنعاء معلمة لمّا غدا النكر فيها غير مستتر
وحاصرت حاتماً فيها عساكره فانقاد للحقّ بعد الضعف والجور
واجتاحه عنه شيبات بملحمة ألف مضوا بين مأسور ومجتزر
وفي زبيد له فتك بفاتكها وما فداه الذي أعطى من الشبر
وجعفر ثمّ اسحاق له نصرا في عصبة وزر ناهيك من وزر
وكم أجاب على غاو ومبتدع كمثل نشوان واليامي ذي النكر
وفي ابن حمزة عبد الله حازمنا وخير داع دعا منّا ومفتخر
جاءت بمعظلة نكداء أربعة وصاولت من غدا بالمكرمات حر
وجاءت العجم من أقصى ممالكها اليه تركض خيل البغي والبطر
فحاصرت كوكباً وهو ساكنه وصنوه فارس الهيجاء في بكر

حتّى قضى نحبه والسيف منصلت … في كفّه ومضى في معشر صبر
وكان للمال في كفّيه أجنحة … فان يقع منه شيء فيهما بطر
وما رعى المشرقيّ الندب حرمته … بعد العفيف عفيف الثوب والأُزر
وكان من رهطه في ثافت حدث … الى ابن أحمد يحيى غير مغتفر
وأُضرمت بين داعينا وصاحبه … محمّد نار حرب جزلة الشرر
جدّت ظفار وحوث في عدواته … وقام فيها أبو فتح مع الغدر
وأمكنت من بني المنصور اذ قصدوا … صنعاء من خيل أهل الشام في زمر
وزلزلت عضدة المهدي أحمدنا … بأحمد ورمته منه بالكبر
فخضّبت شيبة لابن الحسين دماً … وعفّرت وجهه الوضّاح بالعفر
وسامت الشيخ من حوث مهاجرة … بعد الولاء على صاع من الفطر
وكلّفت حسناً تحسين أقبح ما … جرت به من صروف الدهر والعبر
دارت رحىٰ حربهم للدين طاحنة … فليت انّ رحاهم تلك لم تدر
ضحّوا بأبيض يستسق الغمام به … قد بايعوه فكانوا أخسر البشر
مالوا الى أحمد عن أحمد وبنوا … على الامام وقالوا جار في السير
ولم تمدّ باحسان الى حسن … كفّاً وقد رام منها كفّ كلّ جري
وفي ابن تاج الهدى المهدي قد حكمت … في يوم أفتى بما يهوى أبو عمر
وخانه من اليه كان مرتكناً … حتّى المظفّر منه فاز بالظفر
وفي المطهّر لم تعدل وقد علمت … أنّ المطهّر زاكي الفعل والأثر
من ظلّلته الغمام الغرّ حاملة … من دونه وغدت ستراً لمستتر
بيوم تنعم والأبطال عابسة … وقد تقدّم والضلاّل في الأثر
وسبطه المنتقى عادته أوبة … وسالمته يسيراً آخر العمر
وكان فتح ازال من فضائله … من بعد يوم شديد الحرب مستعر

وفي علــــلي ويحــيى والمــطهّر والـ فتحي جاءت بشهور من السير
وكان يحيى هو الحبر الذي ظهرت عــلومه كظهور الوشي والحبر
ومــا ابــن حمــزة الاّ عـالم علم نحايل اليمن لاحت فيه من صغر
وابــن المفضّل داعينا أبي حسـن زاكي المساعي حسام العترة الذكر
سـدت اليـه ولم تـرض حـالته لميلها عن بني المختار من مضر
فشادت المذهب الزيدي دعـوته وذلّــلت كـلّ جـبّار من البشر
وكـان حفظ صلاح بعد مارتها عجالة الراكب الماضي الى السفر
لكـنّها غـزوة في الدهـر شادخة بيضاء واضحة التحجيل والغرر
عـجّ الرسـول منها في ممــالكه عـجيج حـاملة وقراً على دبر
وكان بعد صلاح من حوادثها بحر اختلاف عظيم هائل خطر
قـام الامـام علي بعد صاحبه وأحمد بعد والهادي على الإثر
وذاد عن مذهب الهادي أبي حسن وسـعى أحمد فيه سعي معتبر
هـذا امـام جـهاد لا امتراء به وذا امـام اجـتهاد ثـاقب النظر
وكــلّهم سـادة غـرّ غـطارفة بـيض بها ليل قراجون للعكر
والله يـصفح عـمّن قـد أتى زللاً فمــن تـرى في البرايا غير مغتفر
وكــلّ عـبد الى مولاه مفتقر عند الفريقين أهل العدل والقدر
ودارمـا كـل فانظر في حوادثه فالو صف يقبح للمحسوس بالبصر
وقـد جـرت فـتن فيه مروّعة أتت على أنفس الأرواح والدخر
منها قـريش وتـقفو اثرها غلب وعرقب وهـي دهـيا الصمّ والعبر
عـمّت بـفتنتها خـصّت بمحنتها كلّ الخلائق من بدو ومن حضر
وأصبح الناس في هرج وفي رهج من دونه هرج بغداد من التتر
حتّى جرت جمرات الحرب خـامدة وبــدّل الله حـال العسر باليسر

وقلّد الأمر ملك من بني حسن ماض عزائمه من خيرة الخير
مؤيّد أيّد الدين الحنيف به لواؤه خافق بالنصر والظفر
سل عنه أخبر به أنظر اليه تجد ملأ المسامع والأفواه والبصر
وليس يعلم ما يأتي الزمان به سوى عليم قديم الذات مقتدر
فهاك ما قلت في داع ومقتصد ساع الى طاعة الرحمٰن منشمر
قد باينوا كلّ ذي لهو وذي لعب بالفسق مشتهر للخمر معتصر
يدبّر الأمر من مصر الى عدن الى العراقين بين الدن والوتر
اذا تهجّد في الأسحار سادتنا بمنزل فيه آيات لمزدجر
غنّاهم المطرب الشادي بنغمته ما شبّه الناس كلّ الناس بالقمر
طالوا علينا بدنياهم وخالقنا عطاؤه لم يكن فيها بمحتظر
فقل لمن شرعه الاسلام شرعته أيّ الفريقين قل لي أنت عنه بري
أجرى النبيّ على ارشاد أمّته حبّ القرابة فاغنم أفضل الأجر
وكن بعروة أهل البيت ملتزماً فالذكر والآل منجاه لمدّكر
ولا يصدّك عنهم قول منحرف فالناس أميل نحو العاجل الخضر
أعلى الوسيلة دار للمحبّ لهم ودار شانيهم المخذول في سقر
صلّى الالٰه عليهم كلّما طلعت شمس وما حفّت الهالات بالقمر